منهج الشيخ " محمد باي بلعالم في التعليل النحوي
_ قراءة تحليلية لشروحه على المقدمة الآجرومية _

د زهـور شـــتوح
جامعة باتنة1

ملخص:
شغل نثر "ابن آجروم الصنهاجي" في النحو العربي اهتمام العديد من علماء اللغة في الجزائر وغيرها ، فتناولوه على أنماط عدة نظما وشرحا وتعليقا ، وفي الجزائر كان هذا المتن النحوي من أبرز المتون التي حظيت باهتمام كبير من قبل علماء اللغة وطلاب العلم ، وسأسعى في هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على قضية الاهتمام تلك ، وعلى الجهود التي بذلها الشيخ "محمد باي بلعالم " في شرح الآجرومية ، في محاولة مني لإبراز هذه الجهود المغمورة و تشخيصها ووضعها في الأطر العلمية التي تمكننا من الحكم عليها ، كما سأدعم هذه المقالة بقراءة تحليلية لمنهج هذا الأخير في التعليل النحوي لتيسير تعليم النحو وتسهيله للمتعلمين .

الكلمات المفتاحية : الآجرومية ، محمد باي بلعالم ، التعليل النحوي ، أنواع العلل ، تعليمية النحو .

Abstract :
Algerian language scientists have been interested in the prose of "Ibn Ajrum Sanhaje" in Arabic grammar, studying it with different patterns of systems, composition and commentary and explanations.
In Algeria, this grammatical board has been very carefully received by language scientists and students of science and seeks to highlight the efforts of "Mouhammad Balalam" in the explanatory commentary, in order to highlight these submerged efforts and diagnose and place them in the scientific Framework that enable us to judge them, and I will support this article with an analytical reading of the latter's approach in the grammatical reasoning to facilitate the teaching of grammar and facilitate it for learners
Keywords: alajrowmia, Mouhammad Balalam, grammatical reasoning, types of illa, educational grammar

تعد مقدمة ابن آجروم [1] من أقصر المختصرات النحوية المتوارثة عن التراث العربي الإسلامي ، ولم يؤثر عن ابن آجروم في النحو إلا هاته المقدمة التي بلغت شهرتها الآفاق وترجمت إلى عدة لغات وتناولها بالتعليق عليها وشرحها كثير من الأعلام [2] ، على الرغم من قصر حجمها الذي لا يتجاوز العشرين صفحة في الأصل وبهذا حلت محل المقدمات التي في مستواها مثل النموذج "للزمخشري" ، و"ملحة الحريري" و"لمع ابن جني" .

أوجز "ابن آجروم" في مقدمته كتاب "الجمل في النحو" لـ"أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي" في خمسة وأربعين ومئة باب فكانت أساس الدراسات النحوية في زمنه ، وتأخذ بمبدأ الاختيار من المدرستين الكوفية والبصرية مع أن "ابن آجروم" كان أقرب إلى مذهب الكوفيين على خلاف "الزجاج "الذي كان ميالا إلى البصرين .

وقد كان هذا المتن الصغير من أوائل ما طبع بالعربية فطبع في روما سنة 1592 م ، ثم في روما مع شرح باللغة اللاتينية للأب "أوبيشيني" سنة 1631م ، ثم طبع ببولاق سنة 1823 م ، ثم طبع بكامبرج سنة 1832م ، ومعها ترجمة بالإنجليزية للقس "بيرون" ، ثم في بيروت في مطبعة الجامعة الأمريكية سنة 1841م ، ثم في الجزائر سنة 1846 ومعها ترجمة فرنسية لـ"موسيوبرين" ، ثم طبعت مع شرح باللغة المجرية سنة 1882م للمستشرق المجري "كانيوريسكي" (ت 1930) ، ثم توالت طبعاتها في معظم البلاد العربية والاسلامية.

ومما يدل على فضلها ومكانتها أنها طبعت عدة طبعات في البلاد العربية وفي روما ولندن وباريس و ميونيخ وغيرها من ترجمات إلى اللاتينية والفرنسية والانجليزية والألمانية .

والملاحظ على مضمون الآجرومية أنها تقتصر على علم النحو دون علم الصرف ، وهذا لعدة أسباب نذكر منها :

- حاجة المتعلمين للإعراب لأن اللغة العربية لغة معربة .
- الهدف من متن الآجرومية هو تعليم النحو العربي للمبتدئين.
- صعوبة المادة الصرفية على الناشئة من المتعلمين.
- تبسيط المعارف النحوية وفهم قواعدها لتسهيل حفظها وتداولها على الألسنة

كما اقتصر مضمون الآجرومية على أبواب خمسة تتعلق كلها بالجانب الإعرابي دون التطرق إلى بقية الجوانب النحوية الأخرى فجاءت بذلك مقسمة على النحو التالي :

- الكلام وأقسامه.
- الاعراب و علاماته.
- المرفوعات من الأسماء.
- المنصوبات من الأسماء.
- المخفوضات من الأسماء.

وبهذا يتضح أن مقدمة "ابن آجروم" تعليمية بامتياز تميل إلى التسهيل والتبسيط النحوي التي تيسر على متعلم النحو التمكن من الاعراب النحوي ، ومن هنا تميزت المقدمة بخصائص جعلتها تتفرد عن غيرها من المتون ومن هاته الخصائص نذكر3 :

- الاختصار الشديد في الأبواب مع إغفال بعضها .
- الاهتمام بالتقسيم وذكر الأنواع.
- عدم ذكر الخلافات النحوية بين النحاة.
- ذكر الراجح عنده دون التقيد بأحد المذاهب النحوية .
- الخلو من الاستشهاد بالقرآن أو الحديث أو الأمثال والأشعار.
- الخلو من التعليلات النحوية.
- استحضار الكلمات السهلة المتداولة بين طلبة العلم .
- الاقتصار في الاستشهاد على التمثيل بكلمات مفردة أو جمل قصيرة جدا .

جهود اللغويين الجزائرين في نظم وشرح الآجرومية:

استرعت مقدمة "ابن آجروم" في النحو اهتمام العديد من اللغوين الجزائريين وتمثل ذلك الاهتمام تبسيط منثور "ابن آجروم" في منظومات شعرية ، وشروح لها ، وفيما يلي عرض تلك الجهود :

1-النظم على مقدمة "ابن آجروم" :

أ/ أقدم "محمد بن أب المزري" (1160هـ)على تبسيط هذا المنثور في ثلاث منظومات شعرية هي:

- نظم مقدمة "ابن آجروم".
- نزهة الحلوم نظم على مقدمة ابم آجروم .
- كشف الغموم على مقدمة "ابن آجروم".

ب- "محمد بن إدريس الاباضي" (ت 1298هـ)، ونظمه الموسوم بـ : نظم متن الآجرومية .

ج_ "خليفة بن الحسان القماري" (ت 1211هـ) ونظمه : اللامية في نظم الأجرومية.

د- "عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد العزيز ضياء الدين الثميني" ، ونظمه الموسوم بـ: نظم الآجرومية.

هـ- "مولود بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي بن مسعود" (ت 1358هـ) وله كذلك نظم بعنوان : نظم الآجرومية.

و- "محمد باي بلعالم" (ت 1430هـ) ، ونظمه الموسوم بـ: اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم.

ز- "ابن ناجي غويني بن الحاج مسعود المسعدي" في : نظم آجرومية الصنهاجي.

ح- "الشيخ بلحاج عمران " في نظم مقدمة "ابن آجروم" .

2- الشروح على المقدمة الآجرومية :

أقدم العديد من العلماء على شرح متن الآجرومية ومنهم نذكر :

اسم الشارح	عنوان المؤلف
•أحمد بن علي بن منصور شهاب الدين الحميري البجائي ، ت (837 هـ)	شرح الآجرومية
• السنوسي محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسيني أبي عبد الله التلمساني (ت895هـ)	شرح الآجرومية
• ابن محمد أبي القاسم البجائي (ت بعد 1036 هـ)	شرح ألفاظ الآجرومية
• أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله الأنصاري المالكي السجلماسي الجزائري (ت 1057 هـ)	شرح الآجرومية
محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ الهواري القلعي	الدرة الصباغية في شرح الأجرومية
محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن محمد بن الطالب العسيوي الرحموني الزواوي الأمشدالي الجزائري	الدليل على الأجرومية
أحمد الطيب بن محمد بن محمد بن الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي النحوي الأديب المالكي (ت 1251هـ)	مفيد الطلبة
باي بن الشيخ محمد الكنتي	شرح الآجرومية
محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش الإباضي (ت 1332 هـ)	المسائل التحقيقية في بيان التحفة الآجرومية
محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش الإباضي	شرح المقدمة الآجرومية
الشيخ باي بن الشيخ عمر الكنتي (ت 1348هـ)	شرح الآجرومية
محمد الحسن بن محمد بن أحمد القبلاوي (ت 1352هـ)	تفريج الغموم شرح على متن مقدمة ابن آجروم
أحمد التيجاني	شرح الآجرومية
عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الثعالبي	الجواهر السنية في شرح المقدمة الآجرومية
صالح بن موفق بن قويدر القسنطيني	شرح الآجرومية
محمد بن أحمد بن أبي يعلى الشريف	الدرة النحوية في شرح الآجرومية
أبو القاسم الداوي	شرح الآجرومية
محمد بن شعيب بن أحمد	حقائق الآجرومية
محمد بن الحسن بن محمد المزمري	كشف الغيوم على متن ابن آجروم
محمد بن عبد الرحمن الديسي	اتمام شرح الآجرومية
محمد بن أحمد	القيومية في شرح الآجرومية
أحمد بن أقد بن محمد بن أحمد المدعو السوداني	الفتوحات القيومية في شرح الآجرومية

3- الشروح على تلك المنظومات:

قام العديد من العلماء على شرح تلك المنظومات التي نظمت على متن الآجرومية نذكر منها :

أ-شرح نظم الآجرومية لـ"أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي (ت 1139هـ).

ب-العي المصروم على نظم أبي أب لمقدمة ابن آجروم لـ"محمد بن بادي الكنتي التواتي" (ت1388 هـ) .

ج-شرح نظم الآجرومية لـ "ابن الفخار أبي القاسم المجاجي" .

د-كفاية المنهوم على اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم لـ"محمد باي بلعالم" (ت 1430هـ).

هـ-عون القيوم على كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم لـ"محمد باي بلعالم.

و-التحفة الوسيمة في شرح الدرة اليتيمة لـ"محمد باي بلعالم".

ز-الرحيق المختوم لنزهة الحلوم لـ"محمد باي بلعالم".

ح-فتح الحي القيوم بشرح علامات الإعراب من اللؤلؤ المنظوم في منثور ابن آجروم لـ"أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بسكر الجزائري.[4]

وبهذا يمكن أن نقول أن متن الآجرومية حظي باهتمام منقطع النظير من طرف علماء جزائريين ، كان همهم الوحيد تبسيط وتيسير القواعد النحوية للمتعلمين من خلال النظم والشرح ، وشرح النظم ، ولا نكاد نعثر في مؤلفاتهم على الآجرومية ألوانا من التجديد والابتكار في الآراء اللهم إلا ما تمثل في ترتيب المادة العلمية ، وتصنيفها ، مع جمع الكثير من الأقوال والآراء ، واختيار بعضها وترجيح البعض الآخر ، إذ كانوا في اغلب الأحيان تابعين لترجيحات "ابن آجروم".

التعريف بالشيخ "محمد باي بلعالم":

هو أبو عبد الله بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري (المالكي المذهب) ، الشهير بـ"الشيخ باي" ، يرجع نسبه إلى قبيلة "حمير" القبيلة العربية المشهورة باليمن، ولد عام 1930 م في قرية "ساهل" ببلدية "أقبلي" بدائرة "أولف" بولاية أدرار . كان والده محمد عبد القادر فقيها وإماما ومعلما ومؤلفا ، من مؤلفاته "تحفة الولدان فيما يجب على العيان" وهي منظومة في حالة الوقت ، حارب فيها أهل البدع والخرافات ، وله عدة قصائد في مدح النبي عليه أزكى الصلاة والتسليم .

بدأ علمه بدراسة القرآن الكريم في مدرسة "ساهل" بـ"أقبلي" على يد المقرئ الحافظ الشيخ "محمد بن عبد الرحمن بن المكي بن العالم"، ثم قرأ على والده المبادئ النحوية والفقهية ، كما درس على الشيخ "محمد بن عبد الكريم المغيلي ، لينتقل إلى زاوية الشيخ "أحمد بن عبد المعطي السباعي" ، مكث فيها سبعة سنوات تلقى فيها الفقه المالكي وأصوله والنحو والفرائض والحديث والتفسير . حتى أجازه في شتى علوم الفقه واللغة .

وبعد أن تخرج من هذه الزاوية انتقل إلى مدينة "أولف" ، أين قام بتأسيس زاوية للعلوم الشرعية أسماها مدرسة "مصعب بن عمير" تعنى بتدريس الطلاب والطالبات الأمور الدينية واللغوية للمساهمة في رفع المستوى الثقافي لدى أبناء وطنه إبان فترة الاستعمار[5] .

تحصل سنة 1971 على شهادة تعادل الليسانس في العلوم الاسلامية ، بعد مشاركته في مسابقة لوزارة الأوقاف أجرتها لتحديد المستوى العلمي لمجموعة من المشايخ.

والتحق بالسلك الديني ، عام 1964م ليصبح إماما وخطيبا بصفة رسمية.

إجـازاته:

أجيز الشيخ باي –رحمه الله– من قبل كبار العلماء سواء داخل الجزائر أو خارجها ومن هذه الإجازات نذكر:

- إجازة عامة من شيخه "مولاي أحمد الطاهري بن عبد المعطي" عند انتهاء الدراسة.
- إجازة عامة من السيد "الحاج أحمد الحسن" بأسانيد متعددة ثبتها متصل بالإمام مالك، ومسلم والبخاري، وسائر أصحاب الكتب والسنة.
- إجازة من السيد "علي البودليمي" في الحديث وعلومه لها ثبت متصل كذلك.
- إجازة من العالم اللبناني الشيخ "زهير الشاويش".
- إجازة من العالم الشريف السيد "محمد علوي المالكي" في مكة المكرمة لها ثبت كذلك بسنده المتصل بالأعلام السابقين.
- إجازة الشيخ "عبد الرحمن الجيلالي" بسنده.
- كما تحصل على شهادة الامام الأستاذ من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف وشهادة مستوى (الليسانس) في العلوم الاسلامية.
- كما تحصل على عدة شهادات تقدير وعرفان من الأسابيع القرآنية وملتقيات مختلفة.

مــؤلفاته اللغـوية :

يعد الشيخ "محمد باي بلعالم" من أصحاب التصانيف العديدة في شتى العلوم والمعارف فقد كتب الشيخ في مجال الفقه وعلوم القرآن، وأصول الفقه ومصطلح الحديث وعلم الفرائض ، والسيرة والاقتصاد الاسلامي ، كما كتب في مجال الرحلات والتاريخ والتراث والتراجم وله ديوان شعري شامل لتقاريظ ومراثي وردود متعددة . وأشعار في مواضع الألغاز و الفتاوى الفقهية ، كما أن له العديد من المحاضرات المتنوعة بتنوع مواضيعها ومناسباتها .

ومن مؤلفاته في المجال اللغوي النحوي نذكر:

01 – الرحيق المختوم لنزهة الحلوم ، وهو شرح لنظم نزهة الحلوم للشيخ "محمد بن أب".

02 – اللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة ابن آجروم، وهو نظم وضعه الشيخ لمقدمة الآجرومية.

03 – عيون القيوم شرح على كشف الغموم نظم على مقدمة ابن آجروم، وهو شرح لكشف الغموم للشيخ "محمد بن أب".

04 –كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، وهو شرح وضعه لنظمه : اللؤلؤ المنظوم نظم لمقدمة ابن آجروم.

05 – التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة ، وهو شرح لأرجوزة في النحو.

06 – منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب ، وهو شرح لملحة الإعراب للحريري.

التعليل النحوي لدى الشيخ محمد باي بلعالم :

من طبيعة الانسان أن يسأل عن سبب كل ما يراه ويسمعه ويستقصي علته ، ووجدناه يطبق ذلك على كل ما يمر به وعلى مدى سني حياته وتطور إدراكه وعلى اختلاف العلوم التي يستعملها ، ومن طبيعة العقل البشري أن يتتبع الجزئيات ويجمع ما تشابه منها ليطلق عليها حكما تاما فيصل إلى القاعدة العلمية ، ونجد أن دارس اللغة العربية قد ذهب إلى إيجاد علة لكل ما يراه من أحكام وقواعد ، فللمرفوع سبب ، وللمنصوب علة ، وللمجرور غاية وللمجزوم هدف ، ولكل ماحذف أو قدم أو أخر علة لابد من معرفتها حتى نكون مدركين للغة وواقعها [6] ، ولهذا نجد أن التعليل النحوي قد نشأ منذ أن نشأت

الدراسات النحوية ، ومن الطبيعي أن ينسب التعليل إلى علماء العربية الأوائل ، وأن يكون التعليل مرافقا للحكم النحوي منذ أن وجد النحو [7] ، وإن كان التعليل عند المتقدمين أقرب لروح اللغة من علل المتأخرين .

مفـــهوم التعـليل:

أ/ لغة: التعليل "تفعيل" من الفعل "علل" معناه السقى بعد سقي ، وجني الثمرة مرة بعد أخرى[8] ، والعلة بالعسر «المرض ، عل واعتل أي مرض فهو عليل وعله الله ، ولا أعلك الله أي لا أصابك بعلة ، والعلة: الحدث يشغل صاحبه عن حاجته كأن العلة صارت شغلا ثانيا منعه شغله الأول»[9] ، ويبدو أن مدلول "علل" الطرود والتجدد[10] .

ب/اصطلاحا: العلة في النحو هي الوصف الذي يكون مظنه وجه الحكمة في اتخاذ الحكم أو بعبارة أخرى : هي الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لا حظته حين اختارت في كلامها وجها معينا من التعبير والصياغة [11] ، وعرف د. "حسن خميس سعيد الملخ" التعليل النحوي بأنه : « بيان ثبوت المؤثر لإثبات الأثر ، ويطلق على ما يستدل فيه من العلة على المعلول والتعليل في النحو : تفسير اقتراني بين علة الاعراب أو البناء على الاطلاق وعلى الخصوص وفق أصوله العامة »[12] ، ويبدو من التعليل أنه نشاط ذهني للإنسان يصل به إلى تفسير الأحكام اللغوية وغيرها « لأن التفسير هو الكشف عن المراد من اللفظ (نحويا) سواء كان ذلك ظاهرا في المراد أو غير ظاهر ، فمن الظاهر تعليل رفع كلمة "زيد" في جملة : "جاء زيد" بأنها فاعل ومن غير الظاهر تعليل عدم جزم "أن" المخففة الناصبة للمضارع ، مع أن الأصل النظري لعملها الجزم ، بأنها شابهت "أنّ" الناصبة للإسم ، فنصبت »[13].

وبما أن التعليل يبين علة الاعراب والبناء فهو شامل للنحو العربي كله ، إذ لا يخرج اللفظ في العربية عن أن يكون معربا ، أو مبنيا .

ج/ أقســام العــلل :

لقيت العلة النحوية عناية فائقة من طرف علماء اللغة ، فأفردت لها المؤلفات والبحوث ، وتوسعت دائرة الدرس فيها وتشعبت وتناولها البحث النظري المعمق ، حيث جاء في كتاب الايضاح في علل النحو للزجاجي (ت337هـ) ما يلي : « أن علل النحو على ثلاثة أضرب: علل تعليمية وعلل قياسية وعلل جدلية نظرية»[14] .

1-العلل التعليمية:

هي ما يتوصل بها إلى معرفة كلام العرب ، يقول الزجاجي : « فمن العلل التعليمية قولنا : (إن زيدا قائم) ، إن قيل بما نصبتم زيدا ؟ قلنا بأن ، لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر ، لأننا لم نسمع كل كلام العرب ، وإنما سمعنا بعضه فقسنا عليه نظيره ، فمن ذلك أنا سمعنا العرب تقول : قام زيد فهو قائم ، وركب فهو راكب عرفنا اسم الفاعل فقلنا : ذهب فهو ذاهب»[15] ، ولهذا سميت هذه العلل بالتعليمية «فهذا ونحوه من نوع التعليم ، وبه ضبط كلام العرب »[16] ،وهذا النوع من العلل يقوم على صوغ نمط غير مسموع من نمط مسموع ، وتمييزه باسم اصطلاحي خاص به ، فيكون ماقيس على كلام العرب من كلام العرب[17].

2- العلل القياسية:

وهي التي تعلل حمل الكلام بعضه على بعض ، لشبه لفظي أو معنوي يقول "الزجاجي" : « وأما العلل القياسية فهي أن يسأل مسائل عن علة نصب زيد في قولنا (إن زيدا قائم) ، والجواب في ذلك أن يقال : لأنها وأخواته ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول ، فحملت عمله ، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول به لفظا ، فهي تشبه من الأفعال ما قدم مفعوله على فاعله »[18].

وهذا النوع من العلل جامع بين المقيس والمقيس عليه في عملية القياس النحوي الشكلي .

3- العلل الجدلية :

وهي كل علة بعد العلة القياسية « فكل مايعتل به في باب (إن) بعد ذلك ، مثل أن يقال : فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال ؟ وبأي الأفعال شبهتموها؟ أ بالماضية أم بالمستقبلية أم الحادثة في الحال ؟ وحين شبهتموها بالأفعال ، لأي شيء عدلتم بها إلى ما قدم مفعوله على فاعله ؟ وهلا شبهتموها بما قدم فاعله على مفعوله ؟ فكل شيء اعتل به جوابا عن هذه التساؤلات فهو داخل في الجدل والنظر»[19].

فالعلة التعليمية إذا تفسر الشبه في الباب النحوي الواحد ، كتفسير رفع كل فاعل بأنه فاعل، أما العلة القياسية فتفسر الشبه بين بابين نحويين أو أكثر كتشابه اسم إن والمفعول به في النصب ، مما يعني تساوي المؤثرين : "إن" و"الفعل المتعدي" في العمل ، وفسر هذا التساوي بحمل "إن" على "الفعل المتعدي" ، في حين تأتي العلة الجدلية بحثا نظريا يقبل الجدل على أوجه الشبه[20] .

علل الشيخ محمد باي بلعالم:

حفلت مجمل الآثار النحوية تقريبا للشيخ "محمد باي بلعالم" بالتعليلات والملاحظ أن أغلبها من النوعين الأول: أي علل تعليمية وعلل قياسية ومن التعليلات التي وضعها الشيخ نذكر :

- تعليل تسمية المضارع : يقول الشيخ : « وسمي مضارعا لأنه شابه الاسم في الإعراب»21.
- تعليل تسمية المضارع بالمبهم : يقول الشيخ :« ومعنى ضارع أي شابه لأنه يشبه الاسم ويسمى مبهما لأنه يصلح للحال والاستقبال حتى يدخل عليه ما يخصصه لأحدهما»22.
- تعليل تسميات الاعراب : يقول في هذا الشأن : « وسمي رفعا لرفع الشفة السفلى عند التلفظ به أو بعلامته ، والجر وهو الانجرار أي انخفاض الشفة عند التلفظ به وبعلامته ، والجزم لأن الجزم القطع والجازم كالشيء القاطع للحركة أو للحرف»23.
- تعليل تسمية كان وأخواتها بالنواسخ : يقول في الرحيق المختوم :« وتسمى هذه الثلاثة نواسخ الابتداء ، لأنها تدخل على المبتدأ فتنسخ عنه حكم الابتداء وتصير هي العاملة فيه »24.
- تعليل تسمية التوابع : يقول : « والتوابع أربعة ، وسميت (توابع) ، لأنها تتبع ما قبلها في الاعراب»25.
- تعليل تسمية كي بالمصدرية : « كي حرف مصدر ونصب (...) وسميت حينئذ مصدرية لتأولها مع ما بعدها بمصدر»26.
- تعليل تسمية المقصور بالمحبوس : يقول :« وسمي مقصورا أي محبوسا لأنه حبس ومنع من جنس الحركة» 27.
- تعليل تسمية المنقوص : يقول :« وسمي منقوصا لأنه نقص حركتان من حركات الإعراب أو لحذف آخره مع التنوين»28.
- تعليل تسمية الجمع السالم: يقول« سمي سالما لأنه سلم فيه بناء الواحد بزيادة أو نقصان »29
- تعليل تسمية الواو بواو المعية : يقول الشيخ : « يعني أن من منصوبات الأسماء المفعول معه، فالعرب وضعت "الواو" مكان" مع "، لأن "مع" تقتضي المصاحبة ، وقد تكون المصاحبة في "واو العطف" ، فتقول اشترك "زيد وعمرو" ، فلما وضعت "الواو" موضع "مع" ، صار الإعراب في الاسم الذي كان بعد "مع" ، لأن الحرف لا يحتمل الإعراب ، فقوله : استوى الماء ، والخشبة ، وسرت والنيل وكيف أنت وقصعة من ثريد ، وذهب بعض النحاة إلى أن النصب بالفعل وشبهه لا بالواو »[30].
- تعليل التثنية : يقول : « وأصل التثنية العطف ، وإنما عدلوا عنه للإيجاز والاختصار ويدل على أن أصلها العطف أن الشاعر إذا اضطر إلى الوزن رجع إليه ، مثل قول الشاعر :

ليث وليث في محل ضنك

ولولا الوزن لقال ليثان ، فلما كان قولهم الزيدان أصغر من قولهم زيد وزيد زادوا على الواحد ألفا ونونا في حالة الرفع ، وياءا ونونا في حالتي النصب والجر فقالوا : جاء الزيدان ، ورأيت الزيدين ومررت بالزيدين » .

• تعليل الاعلال: يقول « وأصل "قال" قول ، فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب ألفا ، فصار قال ، كما ان أصل "أقول" أقول ، استثقلت الضمة على الواو فنقلت إلى الساكن الصحيح قبلها فصار أقول »[31].

• تعليل المنع من الصرف : يقول :« "هذا وفي الأسماء مالا يصرف" أي لا يدخله الجر والتنوين الدالان على خفة الاسم ، فمنع من الصرف لثقله ، لأنه أشبه الفعل فيعطي حكم الفعل »[32].

• تعليل صياغة اسم الفاعل من الفعل المعتل : « وإنما كسر أول الحرف من بيع لأنه معتل ، والأصل في بيع بإخلاص الكسر بيع فاستثقلت الكسرة في الياء فنقلت إلى الباء وذهبت حركة الباء »[33] .

• تعليل استهلال الحريري عند تقديم الأفعال بالماضي : « وبدأ بالماضي لأنه أبو الأفعال ولا يتوصل إلى المضارع إلا بعد معرفته والأمر مقتضب من المضارع »[34].

• تعليل صرف هند رغم أنها مؤنثة : « وهذه سعاد ، ومررت بسعاد ، وأما إذا كان ساكن الوسط ك(هند) و(رعد) فيجوز صرفه لخفته كالمذكر»[35]

• تعليل عدم جزم الأسماء : يقول : « والجزم امتنع وجوده في الأسماء ، لأن الأسماء خفيفة والجزم خفيف والتخفيف حاصل في الأسماء وتحصيل الحاصل لا ينبغي ، وقال بعضهم : انفرد الاسم بالخفض لكونه عامله لا يفيد معنى إلا فيه ، ويفهم من هذا انفراد الفعل بالجزم لأن عامل الجزم أيضا لا يفيد معنى إلا فيه ، وعليه فإن الفعل له الرفع والنصب والجزم ، ولا خفض فيه »[36] .

• تعليل عدم عمل الكافة والمكفوفة : « وإن تزد "ما" بعد هذه الأحرف الستة (إن وأخواتها) فالمعروف أنها تكفها عن العمل لزوال اختصاصها بالأسماء» [37].

• تعليل عدم تحريك لام التعريف : « فإن قيل : فلماذا أوتي بالهمزة ليتوصل بها إلى النطق بالساكن ولم تتحرك اللام ؟ أجيب عن ذلك بأنها لو تحركت لكانت إما أن تحرك بالكسرة فتلتبس بلام الجر ، أو بالفتح فتلتبس بلام الابتداء ، أو الضم فتكون مما لا نظير له في العربية ، فلأجل ذلك عدل عن تحريك اللام وبقيت على أصل وضعها وجيء بهمزة الوصل قبلها »[38].

• تعليل عدم دخول "يا" النداء على الاسم المعرف بـ"أل": « ولا يجوز إدخال حرف النداء على ما فيه الألف واللام ، فلا تقل مثلا يا الرجل : لأن حرف النداء يعرف ، والألف واللام يعرف ، ولا يتعرف الاسم من جهتين ، ويجوز إدخالها على لفظ الجلالة نحو يا الله» [39].

• تعليل حذف بعض الأحرف عند تصغير بعض الأسماء : « وقيل في سفرجل سفيرج ، بحذف اللام ، لأن بقاء اللام في تصغير سفرجل يحصل به ثقل الاسم »[40].

• تعليل تصريف الممنوع من الصرف عند التعريف أو الاضافة : « ودخلت في المساجد ومساجدهم لأن الألف واللام والاضافة يبعدانه من شبه الفعل ويقربانه من شبه الاسم فيدخل فيه ما يدخل في الاسم » [41].

• تعليل تقديم المنصوب على المرفوع في اسم إن وخبرها : يقول الشيخ : « تقدم "أن" من نواسخ الابتداء : إن وأخواتها ، وحكمها عكس كان ب، لأن كان و أخواتها ترفع الاسم وتنصب الخبر ، وإن وأخواتها تنصب الاسم وترفع الخبر ... والسبب الموجب لتقديم المنصوب على المرفوع في هذا الباب كون عمل هذه الحروف فرعا ، وتقديم المنصوب على المرفوع فرع

فقدم ، ليعلم أن عملها فرع ، من جهة أن الحرف إذا اختص بالاسم فحقه أن يعمل عملا واحدا وهو الخفض ، وهذه لما أشبهت الفعل المتعدي خرجت عن ذلك الأصل ، وصار العمل فيها فرعا والصحيح أن خبرها مرفوع بها »[42].

• تعليل استتار الضمير وجوبا : « وأقول : فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، والفاعل ضمير مستتر وجوبا : لأنه من ضمائر الرفع التي يتحتم فيها رفع الفاعل »[43].

ومن خلال سرد التعليلات المختلفة التي أوردها الشيخ م"حمد باي بلعالم" في مختلف مصنفاته اللغوية نجد أن أغلبها كان من التعليلات التعليمية و القياسية التي تهدف إلى مساعدة الطالب المبتدئ على التمكن من القواعد النحوية لتقويم لسانه من الخطأ وتحسين كفاءته اللغوية ونلاحظ أن منهج الشيخ في عرضها كان شارحا مبسطا .

وفي ختام هذه الورقة البحثية نصل إلى حوصلة ما جاء فيها من جزئيات :

-أولى علماء اللغة الجزائريون اهتماما بالغا بمقدمة ابن آجروم فقد أحصينا عشرة منظومات عليها وثلاثة وعشرين شرحا لها ، وثمانية شروح أعدت على المنظومات التي أقيمت حولها ، (وهذا إحصاء قد يعتريه النقص لأنه لربما يوجد أكثر من هذا العدد ومن الأعمال المغمورة في رفوف الزوايا) .

-كان اعتماد الجزائريين على الآجرومية في تعلم النحو صادرا عن قناعتهم بمكانتها القيمة بين متون النحو العربي في تقديم المادة اللغوية للناشئة .

-تعدد أعمال الشيخ "محمد باي بلعالم "على الآجرومية بين النظم : والمتمثل في عمله المعنون بـ: اللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة ابن آجروم .

وبين الشرح للمنظومات الموضوعة حول متن الآجرومية مثل :

-كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم وهو شرح وضعه لنظمه.

-وكذا: الرحيق المختوم لنزهة الحلوم وهو شرحه لنظم نزهة الحلوم "للشيخ محمد بن أب".

-عون القيوم شرح على كشف الغموم نظم على مقدمة ابن آجروم وهو شرح لكشف الغموم "للشيخ محمد بن أب".

ويدل تعدد الأعمال حول الآجرومية على تعدد المناهج ، ومنه على تعدد المستويات العقلية للمتلقين للمادة النحوية .

-لجأ "الشيخ بلعالم" إلى التعليل النحوي في شروحه وكان أغلبها تعليميا ، وجاء البعض منها قياسيا وقد جاءت بلغة واضحة ميسرة لحمل المتعلم على أخذ العلم بطريقة سهلة.

-نستطيع أن نصف هذه الجهود في خانة التيسير ، إذ أنها ما غاصت في كثرة التفريعات و التعليلات ، التي قيل عنها أنها لا تخدم اللغة ، وانما اكتفت بما هو ضروري فقط.

-إن هذه الجهود وبخاصة غير الأكاديمية منها تحتاج إلى إعادة دراسة وهيكلة وفق معطيات الدرس اللساني الحديث من جوانب عديدة منها : المصطلحات والتعريفات والتمثيل .

- لابد من إعادة تحقيق هذه الجهود للاستفادة منها ، فتحقيقها ضروري كي تظهر بمظهر جديد ويعم نفعها.

الهوامش :

1- هو أبو عبد الله محمد بن محمد الصنهاجي نسبة إلى صنهاجة قبيلة بالمغرب ، المشهور بابن آجروم ومعناه : الفقير الصوفي (بلغة البربر) ، ولد بفاس ، لم يؤثر عنه في النحو إلا هاته المقدمة .

2- محمد مختار ، ولد أباه ، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب ، ص : 381.

3- عبد القادر بقادر ، الآجرومية بين النظم والشرح في الجزائر ، مجلة الأثر ، ع 23، ديسمبر 2015، ورقلة ، ص: 169

[4]– ينظر ، عبد القادر بقادر ، ص : 173-175.

[5]– ينظر ، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات وما يربط توات من الجهات ، الشيخ باي بلعالم ، دار هومة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1، 2005م ، ص:378.

[6]– ينظر التعليق النحوي عند عبد القادر الجرجاني ، ص: 42.

[7]– نفسه.

[8]– الجوهري ، الصحاح ، مادة (علل) ، ج2 ، دار الحضارة ، بيروت ، ص:150.

[9]– ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (علل) ج2 ، دار لسان العرب بيروت ، ص: 867.

[10]– حسن خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين ، ط1 ، الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2000، ص: 29.

[11]– مازن المبارك ، النحو العربي : المكتبة الحديثة ، بيروت ، ط1 ، 1965م ، ص: 90.

[12]– حسن خميس سعيد الملخ ، ص: 29.

13- المرجع نفسه ، ص: 29-30.

14- أبو القاسم الزجاجي ، الايضاح في علل النحو ، تحقيق مازن المبارك ، دار النفاس ، بيروت ط5 ، 1986م، ص: 64.

15- نفسه ، ص: 64.

16- محمد عيد ، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1410 هـ - 1989 م ، ص: 119.

17- حسن خميس سعيد الملخ ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين ، ص: 54.

18- أبو القاسم الزجاجي ، ص: 64-65.

19- محمد عيد ، أصول النحو العربي ، ص: 119.

20- حسن خميس سعيد الملخ ، ص: 55.

21- التحفة الوسيمية على الدرة اليتيمة ، ص: 09.

22- المرجع نفسه ، ص: 24، وكذلك ينظر : الرحيق المختوم ، ص: 46.

23- منحة الأتراب، ص: 21.

24- الرحيق المختوم ، ص: 71.

25- منحة الأتراب ،ص: 115.

26- التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة ، ص: 28.

27- منحة الاعراب ، ص: 28.

28- منحة الاعراب ، ص: 27.

29- التحفة الوسيمة ، ص: 21.

[30]– المرجع نفسه ، ص : 48

31- كفاية المنهوم ، ص: 04.

32- منحة الاعراب ، ص: 121.

33 - التحفة الوسيمة ، ص: 41.

[34]– منحة الأتراب ، ص : 15.

[35]- المرجع نفسه ، ص: 123.

36- كفاية المنهوم ، ص: 26.

37- لأتراب ، ص: 93-94.

38- المرجع نفسه ، ص : 13.

39- الرحيق المختوم ، ص: 108.

40- منحة الأتراب ، ص: 111.

[41]- التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة ، ص: 17.

[42]- الرحيق المختوم ، ص: 75.

[43]- كفاية المنهوم ، ص: 04.